



## انتخابات مميزة في العراق

### Iraq's Remarkable Election

by Kimberly Kagan & Frederick W. Kagan

#### كيمبرلي كاغان وفريدريك كاغان

كيمبرلي كاغان: رئيسة مركز دراسات الحروب  
فريدريك كاغان: باحث أساسي في مركز اميريكان انتربرايز

The Wall Street Journal

صحيفة وول ستريت جورنال

THE WALL STREET JOURNAL

5 فبراير 2009

ترجمة: علي الحارس

عندما بدأ تنفيذ استراتيجية الاندفاع في يناير 2007، لم يكن أحد ليتخيل أن العراق سيخطط لانتخابات ويجريها بعد سنتين بعون ووجود محدودين من قوات التحالف، وأن تمضي هذه الانتخابات بيسر وسلام، وأن المبعوث الخاص للأمم المتحدة سيكون قادراً على إعطاء شهادته الفورية بشرعيتها؛ كما لم يكن أحد ليحلم بأن لا ينصب تركيز وسائل الإعلام على يسر وسلام عملية الاقتراع، وإنما على النتائج وما تحمله من احتمالات للعملية السياسية في العراق.

كما قدمت قوات الأمن العراقية أداء مدهشاً كشف عن قدراتها والشرعية التي تتمتع بها في صفوف العراقيين؛ فتحملت بأصنافها المختلفة: الشرطة الوطنية، والمحلية، والجيش العراقي، المسؤولية الكاملة عن توفير الأمن المادي لكافة صناديق الاقتراع في يوم الانتخاب، كما جرى تمرين على الإجراءات المتعلقة بطلب واستقبال قوات الرد السريع المخصصة لهذه المهمة من قوات التحالف والقوات العراقية، ولكن الانتخابات مرت دون حصول موقف يتطلب تطبيق هذه الخطط المخصصة للحالات الطارئة، ومع توفر أسباب توجب الاحتياط من تنفيذ عمليات انتحارية لم تحصل أية حالة منها، كان العراقيون على

## انتخابات مميزة في العراق

ثقة تكفيهم لإحضار أطفالهم معهم إلى مراكز الاقتراع في عملية انتخابية كانت الأولى التي لم تكن معها حاجة لزيادة عدد القوات الأمريكية قبل إجرائها.

إضافة إلى ما سبق، لعبت المفوضية العليا للانتخابات دورا في إجراء انتخابات شرعية؛ إذ قامت بوضع المعايير المنظمة للإجراءات الأمنية التي تتخذها قوات الأمن العراقية من أجل حماية مراكز الاقتراع. وبالتعاون مع بعثة المساعدة التي أرسلتها الأمم المتحدة، قامت المفوضية بتوجيه عملية تسجيل المرشحين والناخبين، وأشرفت على عمليات الاقتراع، والاقتراع الخاص، وعد الأصوات.

لقد اختار العراقيون في هذه الانتخابات الأحزاب الوطنية العلمانية وفضلوها على الأحزاب الدينية بفارق كبير. ففي الجنوب الذي يغلب عليه التشيع، يبدو أن مرشحي قائمة حزب الدعوة الذي يرأسه المالكي قد حققوا انتصارا كبيرا، وهذا إنجاز لا بد من تسليط الضوء عليه، فحزب الدعوة جاء إلى السلطة في انتخابات 2005 دون دعم أو تنظيم حقيقي في صفوف الشعب العراقي. ولم يكن هنالك إلا القليل ممن توقعوا هذا الانتصار للمالكي قبل عام من يومنا هذا.

وعلى العكس من ذلك كانت الحال التي وصل إليها مقتدى الصدر؛ حيث كان يعتمد على التأييد الشعبي لحركته وبدا على مقربة من تحقيق انتصار في هذه الانتخابات قبل عام، لكنه خسر الكثير من الدعم الشعبي عندما قامت قوات الأمن العراقية بهزيمة ميليشياته في البصرة وبغداد وميسان في حزيران 2008. ومع أن العمليات العسكرية فتحت الباب أمام المجلس الأعلى الإسلامي العراقي الذي يتمتع بتنظيم جيد وبهيمن عليه رجال الدين وحاز في ما قبل على مناصب المحافظين وأعضاء مجالس المحافظات في الجنوب العراقي، رأينا العراقيين يعطون أصواتهم إلى تحالف المالكي بدلا عنه وإلى التحالف الشيعي العلماني الذي يقوده رئيس الوزراء الأسبق إباد علاوي.

## انتخابات مميزة في العراق

من المؤكد أن المالكي استخدم منصبه كرئيس للوزراء وسلطته على ثروة العراق من أجل تحسين موقعه السياسي بين الشيعة. ولكنه قدم لهم ما هو أهم من المال عندما طهر الجنوب العراقي من الميليشيات الشيعية. بما في ذلك المرتبطة منها بإيران بشكل مباشر أو غير مباشر. وأعاد سلطة القانون إلى المحافظات التي أنهكتها الاشتباكات المتكررة: كالبصرة والديوانية وكربلاء وميسان وواسط وذي قار. فمنحها بذلك درجة من الأمان فردت له الجميل في الانتخابات.

وإذا انتقلنا إلى المناطق السنية في الأنبار وصلاح الدين وديالى وجدنا النتائج الأولية تحمل الأنباء السارة ذاتها: إذ قام العديد من العرب السنة بمقاطعة انتخابات 2005 التي أفرزت أعضاء البرلمان ومجالس المحافظات مما أدى إلى شعور بسلب الحقوق أدى إلى صب الزيت على نار التمرد. وعلاوة على ذلك. فإن العرب السنة الذين شاركوا في انتخابات 2005 قاموا باختيار قائمة متطرفة محدودة التمثيل ادعت تمثيل المكون العربي السني بأكمله ورفضت أن تعقد التسويات مع الحكومة الشيعية. لكن الطيف السياسي السني في 2009 ضم مجالا أوسع من الرؤى استطاع كل منها أن يحرز حصته من الأصوات. وهذا تطور أتاح الفرصة لإنشاء تحالفات متنوعة المكونات بعد أن استغنى المالكي عن نفوذ المجلس الأعلى في المناطق الشيعية. وأصبح بمقدوره الاختيار بين شركاء سنة في المناطق ذات التنوع الطائفي.

وجاءت أكثر النتائج إدهاشا من محافظة نينوى الشمالية. حيث يبدو أن كيانا سياسيا أنشئ عام 2008 تحت اسم (الحدباء) سيفوز بأغلبية مقاعد مجلس المحافظة. وذلك بعد أن أدت مقاطعة السنة لانتخابات 2005 إلى ترك هذه المحافظة تحت تأثير كبير للأعضاء الكرد في مجلسها. وقد استفاد القادة الكرد من تلك السيطرة عن طريق محاولة خلق أمر واقع يدعم مطالبهم بإلحاق أجزاء واسعة من محافظة نينوى بإقليم كردستان. بما في ذلك أجزاء من مركز المحافظة. لقد أدى هذا المسعى إلى تعكير شديد للأمن في المحافظة. فنينوى واحدة من المحافظات متنوعة المكونات. والكثير من العرب والأقليات شعروا

## انتخابات مميزة في العراق

بالامتعاض من تلك التصرفات التي اعتبروها توسعا كرديا. فأدى هذا الامتعاض وكذلك الاستياء إلى عدة نتائج: من فشل مجلس المحافظة في توفير الخدمات إلى إطالة أمد تمرد متوسط المستوى في هذه المنطقة. مما سمح للقاعدة بالمحافظة على موطئ قدم لها في العراق. إن (الحدباء) ما هي إلا تحالف محلي للوقوف بوجه الهيمنة الكردية على محافظة نينوى، ولتوفير الأمن والخدمات لسكان المحافظة. وأدى ظهورها إلى حرمان القاعدة من دعم غير معلن تحصل عليه من أهالي نينوى. كما سوف تجبر قادة الكرد على إعادة حساباتهم في ما يخص إصرارهم على مطالب «متطرفة» هددت بتفتيت العراق.

وأما الخاسر الأكبر في الانتخابات فهي إيران: حيث أنفق عملاء إيران الكثير من المال في محاولة للتأثير على نتيجة الانتخابات في الجنوب. لكنهم حصدا خسرانا مبينا. وكان أداء الأحزاب التي دعموها هزيبا. لقد كان الإيرانيون يأملون بإقناع الناخب العراقي أن يعاقب المالكي على توقيع الاتفاقية الأمنية مع أمريكا. لكن الانتخابات برهنت عكس ذلك وكانت تصويتنا قويا على الثقة برئيس الوزراء وسياساته، والاتفاقية من بينها.

وأما الرابح الأكبر فهو مبدأ وحدة العراق: فقد فشل قبل الانتخابات استفتاء لإنشاء إقليم البصرة. ولحقت بالمجلس الأعلى، وهو الحزب العربي الوحيد الذي نادى بإنشاء إقليم شيعي. خسارة فقد بموجبها مؤيديه في المناطق الشيعية حتى في معقله محافظة النجف. لقد أرسل العراقيون في هذه الانتخابات رسالة واضحة تقول بأنهم يرغبون في العيش في دولة واحدة تديرها حكومة مركزية قوية ترتبط بحكومات محلية قوية. لا في دولة فيدرالية غير حقيقية.

وعلى الرغم من هذه الإنجازات، ستستمر القوات الأمريكية في لعب دور حيوي كوسيط نزيه وحكّم محايد يدعم الجهود الرامية إلى إنهاء الصراعات بشكل سلمي. إن الانتخابات البرلمانية لن تتم قبل شهر ديسمبر، مما سوف يؤدي إلى توتر شديد في برلمان تنتمي أغلبيته إلى أحزاب لا تلقى قبولا شعبيا، وربما نشهد صراعا مثيرا ينشب بين رئيس الوزراء

## انتخابات مميزة في العراق

وتلك الأحزاب. ففي نينوى وجنوب العراق وفرت نتائج الانتخابات الأخيرة إمكانية اتخاذ قرارات سياسية بشأن مشاكل معقدة كانت مصدرا لتوليد العنف. ولكن الطرف الخاسر جراء هذه القرارات قد يقوم بأعمال تؤدي إلى تزايد العنف ووصول الأوضاع إلى شفير الهاوية. وسيكون الرد اليائس للقاعدة عنيفا على النظام السياسي الجديد في المناطق السنية. أما إيران فقد دربت وسلحت متطرفين شيعة هربوا من بغداد والبصرة وميسان. وهؤلاء سيسعون دائما إلى إعادة سيطرتهم على تلك المناطق وزعزعتها أمنيا.

أضف إلى ذلك أن قوات الأمن الكردية كادت أن تخوض صراعا مسلحا في أغسطس 2008 في مدينة خانقين متعددة المكونات؛ كما إن قضية كركوك لا تزال دون حل بتعقيدها وقدرتها على قدح شرارة صراع بين الحكومة المركزية وحكومة الإقليم في 2009. إن استلام مجالس المحافظات الجديدة لمسؤولياتها، واختيار محافظين جدد، سيؤدي حتما إلى انقسامات، وهذا دون الحديث عن صراعات مسلحة واغتيالات. وبما أن العراقيين انتخبوا حكومات محلية وفق ما يرغبون، فمن الضروري أن تحقق هذه الحكومات النجاح؛ إذ سيكون بتصرفها ميزانيات كبيرة بصلاحيات تشريعية كبيرة، وتوقعات شعبية عالية.

إن الدور الذي تلعبه أمريكا في العراق يتنامى يوما بعد يوم من خلال فرق إعادة الإعمار المحلية، والوحدات العسكرية المدنية المشتركة التي تعمل على إعادة بناء المرافق الحكومية، ويعتمد عمل هذه الجهات على طبيعة وجود وانتشار القوات الأمريكية في العراق؛ فالقوات الأمريكية ومقراتها لا تزال تساعد على ربط المحافظات بالحكومة المركزية، وفي هذا عون للحكومة العراقية.

لقد تحول العراق من كارثة على وشك الوقوع إلى فرصة ذهبية؛ وإن مساعدة العراقيين على تطوير سياساتهم الداخلية بشكل سلمي يتعدى حدود الطوائف إنما هو جزء جوهري من عملية إعادة دمج العراق بالعالم العربي وجعل الدولة العربية الوحيدة التي يحكمها

## انتخابات مميزة في العراق

الشيعة في العالم مقبولة من الأنظمة السنية المحيطة بها. وهذا الدمج بدوره يوفر إمكانيات مرغوبة لتحقيق التوازن مع إيران وجلب الاستقرار إلى قلب العالم الإسلامي. إن المخاطر في العراق لا تزال جمة. لكننا وصلنا أخيرا إلى بداية مرحلة جني ثمار مشروعنا هناك.